

«الأزياء والزينة».. توثيق لزينة المرأة الإماراتية وأزيائها

مراود - الشارقة

يُعدّ كتاب «الأزياء والزينة في دولة الإمارات العربية المتحدة» للباحثة الدكتور عبد العزيز المسلم، دراسةً رصينةً وكاشفةً، ومثابة الدليل الشامل في موضوعها، وتبرز مدى جماليات الزينة والأزياء على اختلاف أنواعها وتعدّد أشكالها، وتنقسم إلى سبعة فصول:

يتناول الأول مميزات وخصائص الأزياء التقليدية في الإمارات، ويشمل أنواع ومسميات خامات الملابس، وألوانها بالنسبة للرجال والنساء على حدّ سواء؛ فالأزياء الشعبية في الإمارات هي عربية الأصل، خليجية النوع، رغم تأثرها بالثقافات المادية المجاورة، بحكم القرب، أو جراء الفتوحات الإسلامية، التي أدّت إلى انتقال كثير من الأزياء أو الملابس وغيرها من الثقافات المادية من بلد إلى آخر، محدثاً نوعاً من التشابه في بعض أنواع الملابس، وطرق تفصيلها وإعدادها، وما يتبعها من مكملات أخرى، وإن اختلفت مسمياتها.



الرفر، ساري، كف السبع، ليل ونهار، مريسي، مدراسي، المزري، ململ.

ويخلص المؤلف إلى أن الكثير من أسماء الأقمشة كانت إما اسماً للشركة الصانعة، أو وصفاً ملمس القماش أو لونه، أو لشكل الزخرفة، نباتية كانت أو هندسية، أو لرداءة النوع أو جودته، وكانت عملية إطلاق الاسم سهلة وعفوية ومن دون تكلف.

أما ألوان الأقمشة فقد عدّ منها ستاً وعشرين لوناً، منها الألوان الآتية: أبيض، فضي، رمادي، أمّح، أسود، أزرق، سماوي، نيلي، خضر، خاكي، حشيشي، أصفر، حمر، ذهبي، برميتي، بوسي، جاكيتي قهوي، حليبي.. وغيرها.

وتحدث في الفصل الثاني عن فنون التطريز والتفصيل، ذلك أن «أهم ما كان يلفت النظر إلى الملابس التقليدية هو التطريز، الذي يسمى باللهجة الشعبية «خوّار»؛ فقد كانت ومازالت له أهمية كبرى، خصوصاً في ملابس المناسبات والأعياد، حيث يتم تطريز الأماكن الظاهرة من الملابس، ويتركز التطريز عامة على فتحة

الرقبة وعلى الصدر والأكماف، وعلى بعض الأجزاء من الرّي، كأن تنثر بعض الوحدات الزخرفية في أماكن مختلفة، أما الخيوط المعدنية المستخدمة في التطريز فتسمى خيوط الزري أو الخوص، ومن أنواع التطريز ما يسمى النقدة أو النقد، وهي من الفضة وتستخدم للشيلة أو الوقاية، وهي الوشاح الرسمي في زي المرأة الإماراتية، وعادة ما تصنع من قماش «الشفون»، فقد يقال: شيلة منقّدة، أو يقال: شيلة أو وقاية نقدتها «رش العطر».

أما خصائصها فهي عديدة، تشمل طريقة لبسها وألوانها وزخرفتها، وكذلك تفصيلها، مع بعض الفروق البسيطة جدّاً، والتي لا تؤثر في النمط العام، مما يحدونا إلى اعتبارها زياً شعبياً وطنياً يختص بالإمارات فقط، وتبليور هذه الخصوصيات في زيّ النساء، فهي مصنوعة من أقمشة جيدة كالحرير الطبيعي والصناعي الشفاف والقطن، وتستعمل في تطريزها مواد فاخرة كالخيوط الذهبية وخيوط الفضة بصورة رئيسة، كذلك خيوط الحرير والقطن الملون، كما أنها متنوعة ومتعددة، وتقسم إلى

مجموعات، للخروج، وللبيت، وللصلاة، ولحضور المناسبات.

أما بالنسبة إلى ملابس الرجال، فهي مصنوعة من أقمشة قطنية بسيطة، وشكلها العام متواضع، ويغلب عليها اللون الأبيض، كما أنها محدودة الشكل.

أما أنواع ومسميات أقمشة الملابس المستخدمة للجنسين في الإمارات، فهناك «العديد من خامات الملابس التي كانت ترد في السابق إلى الإمارات من دول العالم المختلفة، عن طريق الهند وشرق إفريقيا وبلاد فارس وغيرها، وقد ارتبطت أسماء الأقمشة بشكل النقوش أو الزخارف أو الألوان الموجودة في هذه الأقمشة،

ومنها: «بوطيرة» أو «بو الطيور»، و«بو قليم»، و«بو بريج»، و«بو الربوع» وغيرها، كما أن الاسم ربما يطلق على ملمس القماش إذا كان ناعماً أو خشناً أو ما شابه ذلك. وقد أورد المؤلف خمسين اسماً للأقمشة المستخدمة في صناعة الأزياء النسائية، منها مثلاً: صاية، برشوت، بستان الياهي، بسرة وخلافة، بوبلين، بو طاووس، بو قفص، الحسني بنطر،



من هذه الأشكال كان تبعاً للحالة الاقتصادية والحالة المعيشية لكل حقبة زمنية، وتبعاً للمستوى المالي للأسرة أو الزوج، وقد كانت المرأة تتزين بالحلي من أعلى رأسها إلى أصابع قدميها. مثلاً على الرأس كانت تضع الطاسة، المشلة، المشط المشمومة. وعلى الجبهة تضع شفاف، وعلى الأذن تضع: الكواشي، والشغبات، والخيجان، والتراجي، والفتور، وعلى الرقبة: التريكة أو المرية الصغيرة، ومريّة أم المشاخص، وقلب سلسلة، ونثرة، وطبلة، وفي اليد تضع الملتفت، وحجل.. إلخ.

وتحدث عن العطور التقليدية وأنواعها، وعن البخور والعود وأدوات وأواني العطور، والحناء وطريقة صنعها وإعدادها، وأشكال التزيين بها، ومنها: غمسة، قاعة، قصّة، جوتي وغيرها، كما أورد معلومات عن الكحل وأنواعه، وكيفية صناعة الإثمد، والعناية بالشعر وتسريحاته في الموروث الشعبي الإماراتي.

وختم الدراسة بفصل تحدث فيه عن أهاليج الأطفال الشعبية، وما ورد في الشعر الشعبي عن الملابس والزينة، مستعرضاً مختارات ونماذج لشعراء بارزين من أمثال: راشد الخضر، سلطان بن سليمان الشاعر، راشد بن طناف، سالم بن علي العويس، علي بن يوسف النعيمي.

وأشفح الدراسة بملحق تحدث فيه عن معاني الألفاظ الواردة فيها والتي تتصل بعمق الموضوع المطروق. خلاصة القول، إن البحثة نقب في أعماق الكتب وتلافيف الذاكرة عن كل شاردة وواردة، تتعلق بالزينة والأزياء في الإمارات، وجمع معلومات غاية في الأهمية، وعرضها مشروحة وموضحة في لوحة تراثية متكاملة تعنى بتوثيق مبحث من أهم المباحث التراثية القديمة، والذي يمكن أن يقتصر البحث فيه - كما يخال بعضهم - على المرأة نفسها دون غيرها، وهذا مكن الأهمية في هذا العمل وسرّ قوته وتكامله، إن البحثة استعان بأصحاب الخبرة وأرباب الفكرة من راويات الثقافة الشعبية الإماراتية، واستخرج ما وعته ذاكرتهم من معلومات قيمة ومعطيات ثرية، وأفاد منها في إنجاز هذا العمل الرصين، الذي توخى فيه الدقة والصدق، مازجاً بين المصدر الشفوي والمكتوب من أجل الإحاطة بالموضوع من جوانبه كافة.

أما التفصيل فيتم بأخذ المقاسات اللازمة والمقاييس، وتسمى في اللهجة الشعبية «قياسات»، وهي: «الباع، الوار، ذراع، شبر، فتر، نص فتر، صُغ، رايبة». بعد أخذ القياسات تتم عملية القص وتجهيز القماش.

وعدد أربعاً من أدوات الخياطة، هي: الإبرة، الخيط، المقص، الأزرّة، معزجاً بعد ذلك على مهنة تراثية عريقة في مجتمع الإمارات، وهي الثلي عارضاً أنواعه ك«بتول، البادلة الصغيرة، البادلة الكبيرة»، والأدوات اللازمة لعمل الثلي، وهي: الكجوجة، المخدة (الموسدة) الدحاري.

تناول في الفصل الثالث أزياء المرأة الإماراتية، وأولها الزي الاعتيادي، بادئاً الرأس (التوشع)، ويشمل: وقاية: وهي أنواع منها: المنقدة، الوسمة، الساري، تور.

عباءة: ومنها: الحرير والدفة. البدن: ويشمل: سلّحة، خلّقي، كندورة، الثوب.

القدم: ويضم ما يرتدى في القدم من: نعال، مداس، قرحاف، كوش، جوتي.

وتحدث عن أزياء الحج والعمرة، حيث درجت العادة على ارتداء اللون الأخضر في المدينة المنورة، والأسود في مكة المكرمة، وملابس الإحرام: وزار، ردا، كمر.

كما عرّج على البراقع سارداً أنواعها الثلاثة، وهي: الأحمر، الأصفر، الأخضر.

واستعرض أزياء الرجال في الإمارات، بدءاً بما يوضع على الرأس: خزام، عقال، شُطفة، غُثّة، سُفْرة، دِسْمال، شال، قَحْفُية، عَرّاقية، ثم ما يوضع على الكتف، وهو: لاس، رداء. وملابس البدن: صديري، وبشت، وكندورة، مقصر، وحقب، ووزار، ودقلة، وزبون.

ويلبس في القدم زربول، نعال.

أما زي الغوص، فهو: فطام، خبط، شمشول، لبس. كما تحدث عن أزياء الأطفال ومكملاتها، وأورد معلومات عن العناية بالملابس وكيفية حفظها، وصباغتها، والأشياء التي تستخلص منها الألوان، وشكل القماش، ثم الاستخدامات الأخرى للأقمشة في غير الألبسة.

وأفرد فصلاً خاصاً تحدث فيه عن زينة المرأة، وأولها الحلي، حيث تحلّت المرأة قديماً بالفضة والذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة والحديد والخيط القطنية، لكن استخدام كل شكل